كان الباحثون المتقدمون يرون بعض الشعراء يأخذون شعرهم بالتنقيح أو التثقيف . يعيدون النظر فيه ، فيحذفون ويثبتون ، ويؤثرون أن يقرءوه مرات قبل أن يسلموه إلى القراء . وكلما قرءوه عن لهم فيه خاطر ، فأمعنوا النظر ، وبدت الكلمات والعبارات مقبولة مرة وقلقة مرة . وهكذا يؤمنون أن الشعر صعب ودرب طويل . ومغزى ذلك واضح ؛ فالشعراء لا يسلمون أنفسهم إلى طبائعهم ، ولا يحبون أن يصدر الشعر عنهم كما يصدر الضوء عن الشمس والعبير عن الزهرة .

هذه الملاحظة مفيدة . وربما ذكرتنا بما يقوله النقاد المعاصرون . الشعر متميز بعض التميز من نفس صاحبه . التثقيف نسميه الآن باسم النشاط اللغوى . النشاط اللغوى ليس ترجمة أمينة لنفس الشاعر . هو تثقيف لها أو إخراج لها عن طورها المألوف .

فإذا قرأنا عملا أدبيا مثل الأيام لطه حسين بدا لنا أن تسميته ترجمة ذاتية تسمية تقريبية تخفى عنا ماسماه أجدادنا باسم التثقيف ، وبعبارة أخرى ربما كانت الأيام شيئا أروع من الخطاب أو المذكرات أو العبارات التى تحمل طابع التفريغ العاجل . الأيام ليست استجابة تلقائية ، وليست نسخا لمشاعر الدكتور طه وتجاربه ، أو ليست تعبيرا نقيا عن طفولته ، فقد دخلها التعديل ، واستطاع المؤلف أن يحقق نوعا من البعد بينه وبينها .

والذين تهمهم السيرة الشخصية من حيث الصدق يسألون عما أضمره الدكتور طه وما أظهره . مثل هذا السؤال ربما لايؤذى إلى تنوير . وربما لا يكون هناك فرق واضح بين تناول الأيام ، وتناول قصة دعاء الكروان . ولكن بعض القراء يلذ لهم أن يسألوا إلى أى مدى تتصل الأيام بكل ما نعرفه أو ما يجب أن نعرفه عن طه حسين .

إن المعنى الشخصى لعناصر الترجمة الذاتية لا يهمنا . المعنى الشخصى لا وجود له ساذجا نقيا فى الأيام . إنما نهتم بالأفكار والخبرات من حيث هى مادة إنسانية ملموسة . الأيام وحدة متميزة من الماضى بعض التميز . الأيام ليست مجرد تعبير عن تجارب قديمة ، فإن أصررنا على ذلك فلن يكون فى وسعنا أن نعرف الثراء الذى يتمتع به هذا الكتاب من حيث هو فن .